تلويحة الأيدي المتعبة

« لقاء عاجل ومفاجيء مع القنيطرة »

***

تواعدنا
وكان الوعد أن آتيك في الصحراء
فجئتُ . وكانت الاضواء في عينيك ترتجف
وتبكي حرقة . وانا وراء النهر أرتجف
وصدّ خطاي عن لقياك فيض الماء
رأيتك تلعقين دماءك الحيرى
فكل شهودك انصرفوا
وماتوا في ملاجئهم وما عرفوا
وما تركوا سوى الاشلاء
ووحدك كنت واقفة
وما في الموت من شك لمن يقف .

***

تنهدت الدروب وقد رأت دربي
يصدّ على ضفاف النهر
وأنت تكوّمين الرمل ،
تختلسين نحوي نظرة خجلى بلا مقل
أتيتُ .. سمعت رقرقة السواقي
صرخة حمراء كالشعل
فغاض الريق وسط فمي
ظمئت ، تشققت شفتي
لحست يباسها ومضيت محنيا لنير الدهر
غضضت الطرف في صمت
كأني لا أرى الايدي تلوّح لي
ولم أعرف : ترى كنت السراب لنا ؟
أم انك حملت بريق ماء النهر ؟
ففي عينيك كانا توأمين معكرين بحمرة من قهر

***

تيممت الهلال فلم أجد أحدا بضوء جبينه الخاوي
ظللتِ هناك واجمة
كعذراء تودع حبها الذاوي
وكنت صديقتي :
أطرقتُ خشية مقلتيك
وسرت منشغلا فما حييتُ
وكان النهر يفصلنا
وكان البدر شاهدة
وكنتِ القبر ، كنتُ الميتُ

***

ذكرتك حينما لفحتني الصحراء
وحين ظمئتُ حتى الموت لم أذهب الى بردى
ركضتُ الى القوافل أطلب السقيا
فلم أبصر بها أحدا
وأكشف عن خوابي الماءْ
فتندلق الدموع من الخوابي
لا تروي لهفة الرمضاء
وحين رجعت ،
لم أبصر سوى الرمل الذي ارتعدا

***

هربت وكانت الصحراء خلفي
كان قدامي ضجيج النوء
ظننتك تتبعين خطاي :
كيف ظللت واقفة ومحنيّه
وكيف نسيتُ في عينيك هذا الضوء
ندهتك قبل أن أمضي :
« تعالي .. واجلبي صرر الكآبة والحنين
وصرة المنيه »
وحين بعدتُ لم أسمع خطاك ،
فخفت أن أرجع
نظرت اليك :
وحدك كنت دامية ومسبيّه

***

أتيناك
أتينا راكضين اليك ،
كنا متعبين ، مغمسين بنزف ذكراكِ
فلحتِ ، وكنت ناشرة قميصك
كي تثيري نخوة الفرسان
وفوق تلالنا ، أنّى التفتنا
لوحت للركب كفّاكِ
وهبّ الليل يحمل لفحة الاحزان
هربت ورفقتي وجلا
تحدثنا عن الطقس الرديء وموعد المزن
تحدثنا بهمس ،
لم يحدق واحد منا بوجه رفيقه
كنا نخاف تكشف الاسرار في السحن
على عجل تحدثنا .. وأشعلنا لفائفنا ..
وأطرقنا
وعدنا للحديث عن الطريق ونسوة المدن

***

وحين وقفتُ أختلس التفاتة مذنب
أرجوك أي لقاءْ
وكنتِ سخية فأجبتني :
« الوعد نبع الماءْ »
ركضتُ اليكِ كالمجنون من شوقي
وحين وصلتُ لم أبصر سوى الصحراءْ .

دمشق

ممدوح عدوان